[٦]

تنبيه وتحذير

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه، ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين، وبعدُ:

فقد رأيتُ في جريدةِ الرِّياض، في الصَّفحةِ الرَّابعة من العدد (٣٤٠٨) الصَّادر في يَومِ الأرْبعاء ٨ شعبان ١٣٩٦هـ، تَحت عنوان «مَجْنون يَحكِي وعاقل يَفْهم»، وقد سَمَّىٰ الكَاتبُ نفسَه إبراهيم، ولم يَزد علىٰ ذلك، رَأيتُ فِيه ما نصُّه: «أَم تَرىٰ فرنْجيَّة تُمسكُ بِعصا مُوسىٰ السِّحريَّة» انْتَهىٰ المَقصُودُ مِن كَلامِه.

وأُحبُّ أنْ أنبِّه الكَاتِبَ خاصَّة، وغَيرَه من قُرَّاءِ الجَريدة عَامَّة، إلىٰ أنَّ عَصَا مُوسىٰ ليْست بِسحريَّة؛ وإنَّما هي آية من آياتِ اللهِ الكُبْرَىٰ، وبُرهانٌ مِن الله تعالىٰ علىٰ صِدقِ نبيِّهِ مُوسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. قَالَ اللهُ تعالىٰ في سُورة طه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ١٧ - ٢٣].

وقَال تعالىٰ في سُورة النَّازعات: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النازعات: ٢٠ - ٢١].

وقال تعالىٰ في سُورة النَّمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ١٠ - ١٢].

وقال تعالىٰ في سُورة القَصَص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣١ - ٣٢].

فاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعل عَصا مُوسىٰ حيَّةً عظيمة تَسعىٰ حين ألقاها مُوسىٰ من يَدِهِ، ثُم أعادها اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ حالتها الأولىٰ عَصًا حين أخذَها مُوسىٰ في يَدِهِ، واللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قدير؛ وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وليْستْ عَصا مُوسىٰ من قَبيلِ السِّحر، والقَوْل بأنَّها سِحريَّة هو قَوْلِ فرعون وملئِهِ؛ قال اللهُ تعالىٰ في سورة الشُّعراء -حاكيًا قصة مُوسىٰ معهُم-: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: ٣٠ - ٣٥].

قال تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ

أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠٦ - ١١٠].

وقال تعالىٰ في سورة النَّمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٣ - ١٤].

وقال تعالىٰ في سورة يونس: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: ٧٦ - ٧٧].

وقال تعالىٰ في سورة طه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [طه: ٥٧ - ٥٨] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة القَصَص: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [القصص: ٣٦]، وقال تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢].

والقَوْلُ بأنَّ عَصا مُوسىٰ سِحريَّة كُفْرٌ بإجماعِ أَهْلِ الْعِلم؛ لِمَا فيه من تكذيب ما أَخْبَرَ اللهُ به عنْها في سورة طه أنَّها صارتْ حيَّةً تَسعىٰ، وما أَخْبر به عنْها في سورةِ الأعْراف والشُّعراء أنَّها صارتْ ثُعبانًا مُبينًا.

قال الْقَاضي عِيَاض في كِتابِه «الشِّفاء»: «اعْلم أنَّ منِ اسْتخفَّ بالقُرآن والمُصحَف أو بِشيءٍ مِنْهُ، أو سبَّهُما أو جَحدهُ أو حَرفًا مِنهُ، أو آية أو كذَّب به أو بشيءٍ

مِمَّا صُرِّحَ به فيه من حُكمٍ أو خَبرٍ، أو أَثْبت ما نَفاهُ أو نَفَىٰ ما أَثْبتَهُ علىٰ عِلْمٍ منهُ بِذلك، أو شكَّ في شيءٍ من ذلك - فهو كَافرٌ عِنْد أهْلِ العلمِ بإجماع»؛ انتهىٰ(١).

فقَد صُرِّحَ بتكْفِيرِ من كذَّب بشيءٍ مِمَّا صُرِّحَ بهِ في القُرآن من حُكمٍ أو خَبَرٍ، أو أَثْبتَ ما نَفَاهُ، أو نَفَىٰ ما أثبتَهُ، أو شكَّ في شيءٍ من ذَلك، وأنَّ ذَلك إجماعُ أهلِ العلمِ، فليَنْتبه الكاتِبُ وغَيْرُه لِمَا ذكرهُ القاضي عِيَاض؛ لِئلَّا يَقعَ أحدٌ منهُم في الْكُفرِ وهو لا يَشْعُر.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنَا مُحمَّدٍ وعَلىٰ آلهِ وصَحْبِهِ.

٢٢/ ٨/ ١٣٩٦هـ

---

(١) «الشفا» (٢/ ٣٠٤).